اللّجنة العالميّة المشتركة للحوار اللّاهوتيّ
بين الكنيسة الكاثوليكيّة والكنائس الأرثوذكسيّة الشّرقيّة

طبيعة الكنيسة ودستورها ورسالتها

روما، ٢٩ كانون الثّاني ٢٠٠٩

طبيعة الكنيسة ودستورها ورسالتها

توطئة

١– أُنشِئَت اللّجنة الدّوليّة المشتركة للحوار اللّاهوتيّ بين الكنيسة الكاثوليكيّة والكنائس الأرثوذكسيّة الشّرقيّة من قبل أعلى سلطات الكنائس المعنيّة. شركاء هذا الحوار هم من جهة، الكنيسة الكاثوليكيّة، ومن جهة أخرى عائلة الكنائس الأرثوذكسيّة الشّرقيّة الّتي تضمّ الكنيسة الأرثوذكسيّة، الكنيسة السّريانيّة الأرثوذكسيّة، الكنيسة الأرمنيّة الأرثوذكسيّة (كاثوليكيّة جميع الأرمن، إشمياتزين المقدّسة)، الكنيسة الأرمنيّة الرّسوليّة (كاثوليكيّة كيليكيا، أنطلياس)، الكنيسة الأثيوبيّة الأرثوذكسيّة التّوحيديّة، كنيسة مالنكار السّريانيّة الأرثوذكسيّة والكنيسة الإريتريّة الأرثوذكسيّة التّوحيديّة.

٢– وَضَعَت اللّجنة التّحضيريّة الّتي اجتمعت في روما (٢٠٠٣) برنامج عمل اللّجنة المشتركة. وقد عُقِد الاجتماع الأوّل للّجنة المشتركة في القاهرة (٢٠٠٤)، وكان مكرَّسًا للعمل المسكونيّ المهمّ الّذي أُقيم بين الكنائس الكاثوليكيّة والكنائس الأرثوذكسيّة الشّرقيّة خلال العقود الأخيرة، على مختلف مستويات الحوار الرّسميّ وغير الرّسميّ. وقد أُوليَت الإعلانات المشتركة الموقّعة، الّتي أقرّ بها معًا أساقفة روما ورؤساء الكنائس الأرثوذكسيّة الشّرقيّة الخاصّة في هذه الحقبة، اهتمامًا خاصًّا. واستعرض أعضاء اللّجنة المسائل والنّتائج الّتي باتت متوافرة على مرّ السّنين خلال عدد من المؤتمرات الأكاديميّة والحوارات غير الرّسميّة، كتلك الّتي نَظّمها مجلس الكنائس

المسكونيّ ومجلس كنائس الشّرق الأوسط ومؤسّسة «من أجل الشّرق» (*Pro Oriente*). وتمّ اختيار بعض العناصر الأساسيّة لهذه المصادر للتّدقيق فيها، لمزيدٍ من التّعمُّق والتّطوّر لاحقًا.

٣– ففي مرحلة أولى، ركّزت اللّجنة المشتركة أنشطتها على المسائل المتعلّقة بطبيعة الكنيسة ودستورها ورسالتها. إنّ الوثيقة الحاليّة هي توليفة لبعض الأفكار أو النّتائج الأساسيّة الّتي نجمت عن اجتماعات الحوار، ولا سيّما تلك الّتي عُقدت من أجل «الكنيسة كشركة» في روما، ومن أجل «السُّلطة في الكنيسة»، في إشمياتزين المقدّسة (٢٠٠٦)، ومن أجل «رسالة الكنيسة»، في روما (٢٠٠٧). وهناك بعض المسائل الأخرى المرتبطة بلاهوت الكنيسة قد أُشيرَ إليها في برنامج عمل اللّجنة المشتركة، لم تُدرس ولم تناقَش، وستُعالج من ثمّ في مرحلة لاحقة.

٤– يَشكُر أعضاء اللّجنة المشتركة سلطات كنائسهم على التّكليف الّذي حصلوا عليه ويُشرّفهم أن يُقدّموا لها، في هذه الوثيقة بعض نتائج أعمالهم المشتركة. إنّ أملهم الشّديد وصلاتهم أن تُصبح هذه الوثيقة أداة مفيدة وخطوة واعدة إلى الأمام في طريق استعادة الشّركة الكاملة من خلال تحقيق الوحدة الكاملة في الإيمان.

أوّلًا: سرُّ الكنيسة

٥– تشترك الكنائس الأرثوذكسيّة الشّرقيّة والكنيسة الكاثوليكيّة في العناصر التّأسيسيّة الآتية للشّركة: تعترف بالإيمان الرّسوليّ كما عاشته في التّقليد وعُبّر عنه في الكتب المقدّسة، والمجامع المسكونيّة الثّلاثة الأولى (نيقية ٣٢٥ – القسطنطينيّة ٣٨١

– أفسس ٤٣١) وإيمان نيقية–القسطنطينيّة. وتؤمن بيسوع المسيح كلمة الله المتجسّد، الّذي هو في الوقت عينه إله حقّ وإنسان حقيقيّ. وتُكرّم هذه الكنائس القدّيسة العذراء مريم بصفتها والدة الله (*Theotokos*)، وتحتفل بالأسرار السّبعة (المعموديّة، التّثبيت/الميرون، الإفخارستيّا، التّوبة/المصالحة، الكهنوت، الزّواج ومسحة المرضى). وتعتبر المعموديّة أساسيّة للخلاص. أمّا فيما يتعلّق بالإفخارستيّا، فتؤمن بأنّ الخبز والخمر يتحوّلان إلى جسد ودم يسوع المسيح الحقيقيَّين. وتؤمن بأنّ الكهنوت يُنقل من الأساقفة بفعل الخلافة الرّسوليّة. وفيما يتعلّق بالطّبيعة الحقيقيّة للكنيسة، فهي تعترف معًا بإيمانها بالكنيسة الواحدة المقدّسة الجامعة الرّسوليّة، وفقًا لقانون إيمان نيقية/القسطنطينيّة[1].

١ . ١ الثّالوث الأقدس والكنيسة كشركة

٦– تُشير كلمة «كنيسة» (*ekklesia*) إلى جماعة المؤمنين الّذين دعاهم الله الآب بيسوع المسيح والرّوح القدس. ويُعبَّر عن العلاقة الحميمة بين المؤمنين والثّالوث الأقدس، وكذلك بين المؤمنين أنفسهم في اللّغة اليونانيّة للعهد الجديد بمصطلح (*koinōnía*) الّذي يعني «شركة». يقول يوحنّا لقرّائه: «ذاك الّذي رأيناه وسمعناه نُبشّركم به أنتم أيضًا لتكون لكم أيضًا مُشاركةٌ معنا ومُشاركتُنا هي مُشاركةٌ للآب ولابنه يسوعَ المسيح» (١ يو ١، ٣). ويُبارك القدّيس بولس مسيحيّي قورنثوس بهذه الصّلاة: «ولتكُن نعمة ربّنا يسوع المسيح ومحبّة الله الآب وشركة (*koinōnía*) الرّوح القدس معكم جميعًا» (٢ قو ١٣، ١٣)[2].

[1] في نسخته اليونانيّة الأصليّة.

[2] بالنّسبة إلى اقتباسات الكتاب المقدّس الواردة في هذه الوثيقة، استندنا إلى ترجمة النّسخة اليسوعيّة.

٧- يشتمل مصطلح (*koinōnía*)، أي شركة، على بُعدَين أساسيَّيْن: (١) الشّركة العموديّة المتسامية لجميع المؤمنين مع الله الآب في الرَّبّ يسوع المسيح من خلال الرّوح القدس، (٢) والشّركة الأفقيّة لجميع المؤمنين في جميع الأوقات وفي كلّ مكان بعضهم مع بعض، حيث تأخذ شركة الكنيسة الواحدة على الأرض والسّماء وجهًا خاصًّا. فمن دون أحد هذَيْن البُعدَيْن، لا يُمكن للكنيسة أن تكون كنيسة.

٨- توضح صورة الكرمة والأغصان جيّدًا البعدَيْن العموديّ والأفقيّ للشّركة الكنسيّة في إنجيل يوحنّا. وتستمدّ الشّركة بين أعضاء الكنيسة مصدرها ومثالها من شركتهم مع المسيح: «أُثبتوا فيّ وأنا أثبت فيكم» (يو ١٥، ٤). وفي الوقت عينه، تأخذ هذه الشّركة شكل الحبّ، ذلك أنّ مصدرها ومثالها الشّركة القائمة بين الآب ويسوع: «كما أحبّني الآب فكذلك أحببتُكم أنا أيضًا. أُثبتوا في محبّتي» (يو ١٥، ٩).

٩- تجد الجماعة الكنسيّة مصدرها في الله الآب، الّذي منه «تنزل كلّ عطيّة صالحة وكلّ موهبة كاملة» (يعقوب ١، ١٧). يدعو شعب الله بواسطة العهد المقدّس. وهكذا أقام في آن واحد علاقة مع شعبه وبين أفراد شعبه. وتترسّخ رسالة الابن والرّوح القدس من أجل الكنيسة في الآب. فالآب هو الّذي يُرسل ابنه الوحيد والرّوح القدس في العالم. يُصلّي الابن إلى الآب من أجل وحدة تلاميذه على صورة وحدته الخاصّة مع الآب: «كما أنَّك فيّ، يا أبتِ، وأنا فيك» (يو ١٧، ٢١). كلّ شيء في حياة الكنيسة ورسالتها موجّه نحو تمجيد الآب كي يكون في آخر المطاف «الله كلّ شيء في كلّ شيء» (١ قور ١٥، ٢٨).

١٠- إنّ الشّركة الحميمة بين المؤمنين والثّالوث الأقدس، وكذلك بين المؤمنين أنفسهم هي ثمرة المصالحة الّتي حصلت بتضحية يسوع على الصّليب: «إنّه سلامُنا،

فقد جعل من الجماعتَيْن جماعة واحدة وهَدَمَ في جسده الحاجز الّذي يفصل بينهما، أي العداوة، وألغى شريعةَ الوصايا وما فيها من أحكام ليخلُق في شخصه من هاتَيْن الجماعتَيْن، بعدما أحلّ السّلام بينهما، إنسانًا جديدًا واحدًا ويُصلح بينهما وبين الله فجعلَهُما جسدًا واحدًا بالصّليب وبه قضى على العداوة» (أفسس ٢، ١٤-١٦).

١١- توضح صورة الكنيسة كجسد المسيح العلاقة الحميمة بين المسيح وأعضاء الكنيسة. فالمسيح هو رأس الكنيسة الّتي هي جسده. وبما أنّه رأس الكنيسة، فهو يُحبّها ويُقدّم ذاته من أجلها، يُغذّيها ويهتمّ بها بحنان (راجِعْ: أفس ٥، ٢٢-٣٠). أعضاء الكنيسة فيه وهو فيها (غلا ٢، ٢٠). لقد اعتمدوا في المسيح (١ قو ١٢، ١٣). يتألّمون معه لكي يتمجّدوا هم أيضًا معه (رو ٨، ١٧). المسيح مصدر السُّلطة، لذا يجب على الجسد كلّه أن يكرّمه ويُطيعه (راجِعْ: قولوسّي ٢، ١٠)، ووهبه «لنا فوق كلّ شيء رأسًا للكنيسة، وهي جسده ومِلءُ ذاك الّذي يمتلئ تمامًا بجميع النّاس» (أفس ٦، ٢٢-٢٣).

١٢- وفي وقت لاحق، طوّر آباء الكنيسة في الشّرق والغرب اللّاهوت الكنسيّ للشّركة. يُقارن كثيرٌ من الآباء وحدة الكنيسة بوحدة الأشخاص الإلهيّة وبوحدة جسد المسيح والإفخارستيّا. يكتب القدّيس كيرلّس الإسكندري (٤٤٤+)، على سبيل المثال، في مسألة وحدة أعضاء المسيح قائلًا: «بواسطة جسد واحد، الّذي هو جسده، يُبارك المسيح الّذين يؤمنون به ويدمجهم فيه ويدمج الجميع بعضهم مع بعض. من يستطيع أن يفصل ويُبعد عن هذا الاتّحاد المتبادل [...] أولئك الّذين ارتبطوا معًا بالمسيح من خلال الجسد الواحد المقدّس؟ إذا اشتركنا جميعًا في الخبز الواحد، فإنّنا نُشكّل جميعًا جسدًا واحدًا، لأنّ المسيح لا يُمكن أن يتجزّأ. لهذا سُمّيت الكنيسة جسد المسيح، وكلّ واحد منّا هو عضوٌ فيه، كما يفهمها بولس. لأنّنا جميعًا

متّحدون بالمسيح الواحد بجسده المقدّس، إذ نستقبله بأجسادنا، هو الواحد وغير المنفصل [...]. إذا كنّا قد اندمجنا جميعًا بعضنا مع بعض في المسيح، ليس بعضنا مع بعض فحسب، بل معه أيضًا، إذ يأتي إلينا عن طريق جسده، فمن الواضح إذًا أنّنا جميعًا واحد، الواحد في الآخر وفي المسيح، لأنّ المسيح هو رباط الوحدة، كونه إلهًا وإنسانًا في شخص واحد»[٣].

١٣- يُعطي الرّوح القدس، الّذي أرسله المسيح من لدُن الآب (يو ١٥، ٢٦)، الحياة والوحدة والحركة لجسد المسيح الواحد (أُنْظُرْ غلا ٤، ٦). لهذا قارن آباء الكنيسة مهمّته في الكنيسة بتلك الّتي يُمارسها مبدأ النّفس المحيي في الجسم الإنسانيّ[٤]. فحينما يسكن الرّوح في الّذين يؤمنون، وحينما يدير الكنيسة ككلّ، يكون أيضًا مبدأ وحدة الكنيسة. فهو يعمل بِطُرُقٍ عديدة كي يبنيَ جسد المسيح، ليضمن وحدة الكنيسة في تنوُّع أعضائها وخدّامها.

١. ٢ صفات الكنيسة

١٤- الكنيسة واحدة بسبب أصلها في الأقانيم الثّلاثة لإله واحد، الآب والابن والرّوح القدس. والكنيسة أيضًا واحدة بسبب مؤسّسها، يسوع المسيح الّذي أسّس كنيسة واحدة وليس عدّة كنائس (راجِعْ: متّى ١٦، ١٨)، ولها قطيع واحد (راجِعْ: يو ١٠، ١٦؛ ١٥، ٢١)، وجسدٌ واحد (راجِعْ: رو ١٢، ٥؛ قولوسّي ١٢، ٢٧؛

---

٣ أُنْظُرْ:

Cyril of Alexandria, *Commentary on St John*, 17:20-21; Book 11, chapter 11.

٤ أُنْظُرْ:

Augustine, Serm. 268, 2; John Chrysostom In Eph. Hom 9, 3; Didymus the Blind, Trin, 2, 1.

أفس ١، ٢٣)، وعروس واحدة (أفس ٥، ٢٧). وأخيرًا، الكنيسة واحدة لأنّها هيكل الرّوح القدس الواحد، الّذي يبني الكنيسة ويُحييها. فكما كتب غريغوريوس داتيف (١٣٤٦-١٤٠٩): «تُدعى الكنيسة واحدة، لا لأنّها في مكان واحد، بل هي واحدة في الإيمان وفي دعوتها إلى رجاء واحد، بأمّ واحدة، وفي ولادتها من قلب جرن المعموديّة الواحد، في غذاء الكتب الإلهيّة الوحيدة، في جسد ودم المخلّص الوحيد، في الرّأس الواحد والإكليل والثّوب الّذي نلبسه: المسيح»[٥].

١٥- تضمن الرّوابط الأساسيّة للوحدة في الكنيسة الاعتراف بالإيمان الواحد الّذي حصلت عليه من الرّسل، والاحتفال المشترك بالأسرار والخلافة الرّسوليّة من خلال سرّ الكهنوت. ويُصان الوفاق الأخويّ في الكنيسة بالمحبّة الّتي «هي رباط الكمال» (قولوسّي ١٢-١٤) وبالمشاركة في رجاء واحد. (راجع: أفسس ٤،٤)

١٦- لم تفقد الكنيسة الوحدة أبدًا إذ إنّها تشكّل جزءًا من جوهرها، ولو أنّ المسيحيّين تجزّأوا إلى انقسامات كثيرة، ولو أنّ فهمهم لهذه الوحدة قد يكون مختلفًا. لهذا السّبب، ينبغي للمسيحيّين أن يلتزموا بالاستجابة بطريقة مناسبة إلى صلاة يسوع «ليكونوا بأجمعهم واحدًا» (يو ١٧، ٢١)، وأن يُصلحوا روابط الشّركة بينهم.

١٧- الكنيسة مقدّسة، لأنّ المسيح يُحبّ الكنيسة كعروسه ويبذل نفسه من أجلها: «ليُقدّسها مُطهّرًا إيّاها بغسل الماء وكلمةٍ تصحبُه، فيَزُفّها إلى نفسه كنيسة سَنيَّةً لا دَنَسَ فيها ولا تَغَضُّن ولا ما أَشبَه ذلك، بل مُقدّسة بلا عيب» (أفسس ٥، ٢٥-

---

[٥] أُنْظُرْ:

Gregory of Datev, *Book of Questions, "Why the Church is one?"*, St. James Printing House, Jerusalem, 1993, p. 533.

٢٧). الكنيسة مقدّسة أيضًا بفضل موهبة الرّوح القدس، روح القداسة الّتي يسكُنُ فيها لمجد الله.

١٨- قداسة الكنيسة هي هبةٌ من الله، إذ ترتبط بالإيمان وبالتّعليم العقائديّ للكنيسة وبالاحتفال بالأسرار وبالخدمة الرّسوليّة، ولو أنّ القداسة الذّاتيّة أو الشّخصيّة للأفراد ليست كاملة، وأنّه يبقى أشياء ينبغي اكتسابها. تجمع الكنيسة الخطأة الّذين أدركهم الخلاص بالمسيح، ولكنّهم ما برحوا في طريقهم نحو القداسة الشّخصيّة. لهذا السّبب، يتوجّه القدّيس بولس إلى «جميع أحبّاء الله الّذين في رومة وإلى المدعوّين ليكونوا قدّيسين» (رو ١، ٧)؛ ويُسلّم على أهل قورنتس «ليكونوا قدّيسين مع جميع الّذين يُدعَون بالمسيح ليكونوا قدّيسين» (١ قور ١، ٢)؛ ومع أنّه يعترف بجماعة قورنتس المقدّسة، إلّا أنّه يدين الخطايا الّتي ارتكبها بعض أعضائها (راجِعْ: ١ قو ٥، ٦).

١٩- الكنيسة هي كنيسة كاثوليكيّة لأنّ المسيح حاضر فيها ولأنّ المسيح أرسلها في رسالة إلى البشريّة جمعاء. ويعني مُصطلح كاثوليكيّة إذًا الكلِّيَّة أو الاتّحاد بالكلّ. وفي رأي كيرلّس أسقف أورشليم: تُدعى الكنيسة كاثوليكيّة بسبب امتدادها إلى العالم المسكون بأسره، من أقصى طرف إلى أقصى طرف في الأرض. لأنّها أيضًا تُعلّم من دون أيّ ضعف، العقائد كلّها الّتي يجب أن تصل إلى معرفة النّاس، سواء أكان من النّاحية المرئيّة أم غير المرئيّة، ومن النّاحية السّماويّة أم من النّاحية الأرضيّة. ولأنّها تُخضع الجنس البشريّ للتّقوى، رؤساء ومرؤوسين، معلّمين وجاهلين. ولأنّها تعالج وتشفي أيضًا جميع أنواع الخطايا الّتي يقترفها الجسد والنّفس، ويمتلك فيه كلّ أشكال

ما نسمّيه فضيلة، في الأعمال والكلمات وفي كلّ نوع من أنواع العطايا الرّوحيّة[٦]. وبحسب كلمات يوفان أوتزون (٦٤٠-٧٢٨)، «تُدعى الكنيسة كاثوليكيّة لأنّها تجمع كلّ شعوب العالم في الطّاعة، مستنيرة بالمعموديّة، ولأنّها وُلدَت من تراث الله بالرّوح القدّس المقدِّس»[٧].

٢٠- لا تعني فكرة الكاثوليكيّة البتّة أيّ تماثل باهت. فحين تترسّخ الكنيسة في تنوُّع التّرَب الثّقافيّة والاجتماعيّة والإنسانيّة، تأخذ على عاتقها التّعابير اللّاهوتيّة المختلفة الإيمان عينه وأشكال الوظائف الكنسيّة والطّقوس اللّيترجيّة والتّراثات الرّوحيّة في كلّ جزء من العالم. هذا الغنى يُظهر في كلّ روعته كاثوليكيّة الكنيسة الواحدة.

٢١- الكنيسة جامعة لأنّها تأسّست على أساس الرّسل، الشّهود الّذين اختارهم المسيح نفسه من أجل الرّسالة. (راجِعْ: أف ٢، ٢٠؛ أع، ١، ٨؛ ١ قو ٩، ١؛ ١٥: ٧-٨؛ غلا ١، ١). وبمساعدة الرّوح القدس السّاكن فيها، تحفظ الكنيسة التّعليم الّذي حصلت عليه من الرّسل وتنقله (راجِعْ: غلا ٢، ٤٢؛ ٢ تي ١، ١٣-١٤). فبولس يحثّ الجميع: «أُثبتوا إذًا، وحافظوا على السّنن الّتي أخذتموها عنّا، إمّا مُشافهة وإمّا مُكاتَبةً» (١ تس ٢، ١٥). تستمرّ الكنيسة في تعليم الرّسل وإرشادهم من خلال الأساقفة المرسومين في الخلافة الرّسوليّة والكهنة والشّمامسة.

---

[٦] أُنْظُرْ:

St. Cyril of Jerusalem, *Catechetical Lectures*, 18:23.

[٧] أُنْظُرْ:

Yovhan of Otzoun, *Armenian Classical Authors*, Volume VII, Armenian Catholicosate of Cilicia, Antelias, Lebanon 2007, p. 96.

٢٢– في الواقع، لقد أشار إكليمنضس أسقف روما، قبل نهاية القرن الأوّل[٨]، إلى الخدّام المرسومين الّذين يستمدّون سلطتهم من الرّسل وتلاميذ المسيح. فمنذ الأزمنة الأولى، يُعَدّ مَصفُّ الأساقفة المقدّس أنّه يَخلق رابطًا تاريخيًّا بين كنيسة الأزمنة الرّسوليّة وكنيسة اليوم. لذلك تُعلّم الكنيسة أنّ الرّسامة في الخلافة الرّسوليّة هي في الوقت عينه وسيلة وضمانة للاستمرار الرّسوليّ في الخدمة الرّاعويّة وفي نقل النّعمة.

١. ٣ الصّعود نحو الشّركة الكاملة

٢٣– الشّركة الكاملة تتضمّن وتفترض الوحدة في الإيمان وفي حياة الأسرار وفي الخدمة الرّسوليّة. وينبغي ضمان وحدة الكنيسة بروابط شركة مرئيّة تشمل الاعتراف بالإيمان الّذي وصل إلينا من الرّسل، والاحتفال المشترك بالأسرار، وبخاصّة الإفخارستيّا، وممارسة الخدمة الرّسوليّة.

٢٤– إنّ الشّركة الإفخارستيّة والشّركة الكنسيّة مرتبطتان جوهريًّا بعضهما ببعض. لذا، والحالة هذه، إذا استمرّت الخلافات الأساسيّة في مسائل الإيمان وطالت، ولم تُستَعَد الشّركة المرئيّة بالكامل، فإنّ الاحتفال المشترك بإفخارستيّا الرّب الواحدة غير ممكن. ولحسن الحظّ، فقد أُحْرز، من خلال الحوار المسكونيّ، تقدّمٌ كبير بين الكنيسة الكاثوليكيّة والكنائس الأرثوذكسيّة الشّرقيّة لفهْمٍ مشترك للعناصر المكوِّنة للإيمان، وبخاصّة في مجال المسيحانيّة. وعلى الرّغم من أنّ الإجماع الكامل لمسألة الإيمان الّذي من شأنه أن يسمح بالاحتفال المشترك بالإفخارستيّا لم يتحقّق بَعْد، فإنّ هذه

---

[٨] راجِعْ:

1 Cf. 1 Clement 44.

التّطوّرات في الفهم العقائديّ تنطوي على وعد بالتّقارب في المستقبل وتستحقّ اهتمامًا مناسبًا.

٢٥– يُقرّ الجميع بأنّ الانقسام الحاليّ بين المسيحيّين هو معثرة للعالم ويجرح الوحدة الّتي هي عطيّة الله لكنيسة المسيح. إنّ البحث عن الوحدة المسيحيّة هو استجابة لدعوة الرَّبّ: «ليكونوا بأجمعهم واحدًا: كما أنّك فيّ، يا أبتِ، وأنا فيك، فَلْيكونوا هُم أيضًا فينا ليُؤمنَ العالم بأنّك أنت أرسلتني» (يو ١٧، ٢١). لقد أعطى الله المسؤوليّة لجميع المسيحيّين كي يعملوا للوحدة الكاملة والمرئيّة بينهم. وتُواصل الكنيسة الكاثوليكيّة والكنائس الأرثوذكسيّة الشّرقيّة الصّلاة من أجل وحدة الكنائس في صلواتهم وفي احتفالاتهم اللّيترجيّة. يجب أن يُنير التّراث الكنسيّ، وبخاصّة الّذي ينبع من العصور الرّسوليّة والقرون الأولى للمسيحيّة، وأن يُلهم مسيرتهم المشتركة نحو استعادة الشّركة الكاملة من خلال تحقيق الوحدة الكاملة في الإيمان.

١. ٤ نقاط للدّراسة والنّقاش في وقت لاحق

٢٦– نظرًا إلى العناصر الكنسيّة العديدة الّتي تشترك فيها الكنيسة الكاثوليكيّة مع الكنائس الأخرى، فإنّها تستخدم تجاه هذه الكنائس تعابير مثل «شركة حقيقيّة غير كاملة» أو «درجات من الشّركة». تحتاج هذه التّعابير الكنسيّة إلى تفسير في وقت لاحق عند الأرثوذكس الشّرقيّين. وبما أنّ الكنائس الأرثوذكسيّة الشّرقيّة هي في شركة كاملة بينها في الإيمان والأسرار، فهي تستند إلى مصطلح «عائلة الكنائس» للتّعبير عن وحدتها. إنّ محتوى وجهة النّظر هذه يتطلّب مزيدًا من التّوضيح عند الكاثوليك. ذلك أنّ الشّركة الكاملة هي الهدف الأسمى للعمل المسكونيّ لجميع الكنائس.

٢٧– وبما أنّه من غير الممكن حتّى الآن التّوصُّل إلى الشّركة الكاملة، فإنّ التّقارب الملموس في مسألة الإيمان يجب أن يَسمح لنا بإبرام اتّفاقيّات لاهوتيّة وراعويّة بين الكنيسة الكاثوليكيّة والكنائس الأرثوذكسيّة الشّرقيّة، وبخاصّة لتلبية الحاجات الملحّة لجماعاتها الّتي تعيش معًا في مكان واحد. في هذا الجهد، سيتعيّن على كنائسنا أن تهتمّ بمسائل الاعتراف المتبادل بالمعموديّة والزّيجات المسيحيّة المختلطة.

ثانيًا: الأساقفة في الخلافة الرّسوليّة

١. ١ الأساقفة

٢٨– يستند فهمنا للأساقفة والخلافة الرّسوليّة إلى جماعة الرّسل في العهد الجديد. فقد اختار ربّنا يسوع المسيح رسلَه ليكونوا شهودًا مفوَّضين لحياته ورسالته وقيامته (راجِعْ: لو ٢٤، ٤٦–٤٨؛ أع ١، ٢١؛ ٣، ١٥)، فكان عليهم أن يُواصلوا خدمته ورسالته في العالم (راجِعْ: يو ٢٠، ٢١؛ أع ١، ٨)؛ لذا، يُشكّل الرّسل أسس الكنيسة (راجِعْ: أفسس ٢، ٢٠). فأرسلهم ليُعلنوا البشارة الجديدة لجميع أمم العالم (راجِعْ: متّى ٢٨، ١٩) وأعطاهم سُلطة «الرّبط» و«الحلّ» (متّى ١٨، ١٨). كانت خدمتهم فريدة من نوعها وانتهت بموت آخر رسول. ومن جهة أخرى، حرص الرّسل على استمرار الرّسالة الّتي أوكلها إليهم المسيح بعد رحيلهم بفضل مساعديهم المباشرين والأشخاص المتمرّسين[٩].

---

[٩] راجِعْ: أعمال الرّسل، ٢٠، ٢٨. راجِعْ أيضًا:
The Letter of the Romans to the Corinthians (1 Clement), 42-44.

٢٩- في الأزمنة الرّسوليّة، كانت الخدمة والسّطلة تُمارَسان من خلال المواهب والخدمات المتنوّعة (راجِعْ: رو ١٢، ٤-٨؛ أفسُس ٤، ١١؛ فيليبّي ١، ١؛ عب ١٣، ٧؛ تيط ١، ٥-٨). استقرّ هذا التّنوُّع تدريجيًّا في الخدمة الثّلاثيّة للأساقفة والكهنة والشّمامسة. وفي مطلع القرن الثّاني، شَهِد إغناطيوس الأنطاكيّ على هذه الخدمة الثّلاثيّة وعدَّها خدمةً لا يُمكن استبدالها في الكنيسة[١٠]. وقد حافظت الكنيسة الكاثوليكيّة والكنائس الأرثوذكسيّة الشّرقيّة على رُتَب الأساقفة والكهنة والشّمامسة الثّلاث كقاعدة أساسيّة للبنية الرّسوليّة ولخدمة الكهنوت في الكنيسة.

٣٠- الأساقفة هم خلفاء الرّسل في ممارسة المهمّة الرّاعويّة في الكنيسة. على هذا النّحو، تقع على عاتقهم مسؤوليّة الشّهادة للتّقليد الرّسوليّ وصَوْن كنائسهم للحفاظ على الشّركة في الإيمان الرّسوليّ، والأمانة لمتطلّبات الحياة المسيحيّة، وفقًا لتعاليم الرّسل.

٣١- يتلقّى الأساقفة خدمتهم في سرّ الكهنوت، من خلال الصّلاة ووضْع الأيدي في الجماعة الإفخارستيّة. ويُعَيَّنُ الأسقف، من خلال سيامته، رئيسًا للكنيسة المحلِّيَّة (أو الأبرشيّة) وممثّلًا لهذه الكنيسة المحلِّيَّة (الأبرشيّة) في الشّركة الشّاملة للكنائس. من حيث المبدأ، ينبغي أن يُشارك ثلاثة أساقفة على الأقلّ في تكريس الأسقف الجديد، بموافقة أعلى سُلطة في كنيستهم[١١]، وذلك للتأكُّد من أنّ الأسقف الجديد

---

[١٠] بالطّريقة نفسها، على الجميع أن يُجِلّ الشّمامسة مثل يسوع المسيح، مثل الأسقف، الّذي هو صورة الآب، والكهنة على أنّهم مجلس أعيان الله وجماعة الرّسل، إذ من دونهم لا يُمكن التّحدُّث عن الكنيسة. راجِعْ:
Ignatius of Antioch, *Letter to the Trallians*, 3,1; English translation from The Apostolic Fathers, ed. by Michael W. Holmes, Baker Books, 1999, p. 161.

[١١] راجع: مجمع نيقية الأوّل، قانون ٤.

قد سيم في إطار الخلافة الرّسوليّة، وللتّوضيح بأنّه قد انخرط في مَجمع الأساقفة، الّذي هو استمرار لمِجمع الرّسل. تحمل وظيفة الأسقف في الكنيسة طابعًا جماعيًّا في طبيعتها.

٣٢- خدمةُ الأسقف (*episcopos*) هي خدمةُ مراقبة (*episkopè*)، إذ يقوم دورها على تعليم جماعة المؤمنين وتقديسها وإدارتها. يكتب القدّيس بطرس في رسالته الأولى عن الرَّبّ يسوع: «أمّا الآن فقد رجَعتم إلى راعي نفوسكم وحارسها» (١ بط ٢، ٢٥). نتّفق على الإقرار بأنّ مصدر كهنوت الأسقف هو كهنوت الرَّبّ يسوع المسيح، إذ هو رئيس كهنة عظيم (راجِعْ: عب ٤، ١٤-١٦). الأسقف هو أيقونة المسيح الخادم وسط إخوته. وبقوّة الرّوح القدس، يستمرّ في التّبشير بالإنجيل وتدبير الأسرار، وقيادة الجماعة المسيحيّة إلى شركة متنامية مع الله. يجد الدّور المتعدّد للأسقف في رئاسة الجماعة الإفخارستيّة تعبيرَه الكامل.

٣٣- إنّ خدمة الأسقف، بصفته رئيسًا لأبرشيّته، هو دور أساسيّ لحياة الكنيسة وبنيتها ووحدتها. فمن بين المواهب والخدمات الّتي يُحدثها الرّوح القدس، هناك خدمة الرّئاسة لِلَمّ شَمْلِ الجماعة في الوحدة. وبحسب القدّيس أغناطيوس الأنطاكيّ، يسير الأسقف والمؤمنون جنبًا إلى جنب، فيحثّ أهل إزمير قائلًا: «اتّبعوا كلّكم الأسقف،

«إنّ أنسب شيء هو أن يُنصَّب الأسقف على يد جميع أساقفة الأبرشيّة. وإذا ثَبُت أنّ الأمر صعبٌ، إمّا لضرورة مُلحّة أو لطول الطّريق، يجب على كلّ حال أن يجتمع ثلاثة أساقفة في المكان عينه – الغائبون يُدلون برأيهم ويُعبّرون عن موقفهم كتابةً – ثمّ يُقدمون على الرّسامة. تعود السّلطة فيما يحدث في كلّ أبرشيّة إلى الأسقف المتروبوليت». أُنْظُرْ:

(English translation from *Decrees of the Ecumenical Councils*, Vol. 1, ed. by Norman P. Tanner, London /Washington 1990, p. 7).

كما يتبع المسيح أباه، والكاهن الرّسل؛ أمّا فيما يخصّ الشّمامسة، فاحترموهم كما تحترمون شريعة الله. لا يعملَنّ أحدٌ شيئًا خارج الأسقف ما يتعلّق بالكنيسة. وليُنظَر إلى الإفخارستيّا وحدها على أنّها شرعيّة، الّتي هي في ظلّ رئاسة الأسقف أو الّذي عهده إليها. حيث يظهر الأسقف، هناك تكون الجماعة أيضًا، تمامًا حيث يكون المسيح يسوع، هناك تكون الكنيسة الكاثوليكيّة»[١٢]. تتمحور الكنيسة المحلِّيَّة حول الأسقف الّذي يبني وحدة الجميع ويضمن حضور ملء الكنيسة فيها. وفي وجه الخصوص، عندما تجتمع الكنيسة المحلّيَّة حول أسقفها في احتفال الإفخارستيّا، تتجلّى كنيسة المسيح الواحدة والمقدّسة والكاثوليكيّة والرّسوليّة.

٢. ٢ الخلافة الرّسوليّة

٣٤– تجد الخلافة الرّسوليّة معناها في سرّ الكنيسة كشركة. ومن غير الممكن أن تقتصر خلافة الأساقفة الرّسوليّة على مسألة خدّام فرديّين، يُنظر إليهم بمعزل عن جماعة المؤمنين. تُبنى كلّ خدمة في الكنيسة في الأصل على الخدمة الرّسوليّة، أي على دعوة شهود العيان للمسيح النّاهض من الموت وسلطتهم. إنّ الأساقفة المرسومين بوضع الأيدي، هم علامة الخلافة الرّسوليّة وأداتها، إذ تُفهم بنوع خاصّ على أنّها تبقى في الأمانة للإيمان الرّسوليّ والممارسة الّتي ينقلها الرّسل.

٣٥– في كلّ كنيسة محلّيّة، الأسقف هو الضّامن الأوّل للرّسوليّة. بسيامته، يُصبح خليفة الرّسل في كنيسته مهما كانت رتبة كنيسته أو موقعها بين الكنائس الأخرى.

---

١٢ أُنْظُرْ:

Ignatius of Antioch, *Letter to the Smyrnaeans*, 8:2; in The Apostolic Fathers, ed. by Michael W. Holmes, Grand Rapids 1999, pp. 189-199.

وتقتصر مهمّته على نقل تعليم الرّسل في مسائل الإيمان والحياة المسيحيّة وأن يُكيّف حياته معها[١٣]. ويجب عليه، من خلال الرّوح القدس، أن يُحافظ على إيمان الرّسل وأن يقود الكنيسة في الشّهادة الّتي تبادله بها.

٣٦- تنطوي خلافة الأساقفة الرّسوليّة على معنى تاريخيّ وأخرويّ، إذ تربط كلّ جماعة بالجماعة الأصليّة وبجماعة المؤمنين الأُخرويّة في آن واحد. وفي المنظور التّاريخيّ، إنّ الأساقفة الّذين رُسموا في سياق الخلافة الرّسوليّة هم ضمانة كي تبقى الكنيسة أمينة للتّراث الرّسوليّ، لِما نقله الرّسل عمّا فعله يسوع وعلّمه (راجِعْ: أفس ٢، ٢٠). وفي المنظور الأخرويّ، يُمثّلون الرّسل كجماعة لا تتجزّأ تُحيط بالمسيح في مجده، ويُمثّلون الدّعوة النّهائيّة لجميع الشّعوب والأمم في أورشليم الجديدة، جماعة الأيّام الأخيرة (راجِعْ: متّى ١٩، ٢٨؛ أع ٢٨، ١٤). إنّ الفهم الكامل لخلافة الأساقفة الرّسوليّة يشمل البعدَين التّاريخيّ والأُخرويّ، كما يتجلّيان في الاحتفال اللّيترجيّ لأسرار الكنيسة، وبخاصّة الإفخارستيّا.

٣٧- بما أنّ الأساقفة هم خلفاء الرّسل، إذ ورثوا الخدمة الرّسوليّة للاثنَيْ عشر، تكون الخدمة الأسقفيّة في الكنيسة خدمة جماعيّة بطبيعتها. فقد دعا الرَّبّ يسوع الاثنَيْ عشر، وأوكلهم، كوحدة وكرمز لشعب الله الجديد أن يجتمعوا حول المسيح، كالبقيّة المجتمعة من الأسباط الاثنَيْ عشر، وكبداية لإسرائيل الجديدة الّتي أن يجب

---

١٣ أُنْظُرْ:

Irenaeus of Lyons, *Adversus Haereses*, IV, 26, 5:

«في الواقع، حيث رسَتْ مواهب الله، يجب علينا أن نتعلّم من الحقيقة، أي أن نكون بقرب من تجتمع فيهم الخلافة الرّسوليّة في الكنيسة منذ الرّسل، أي نزاهة المسلك الّذي لا غبار عليه وصفاء الكلام الّذي لا يفسد».

تبقى دومًا. كلّ فرد من الجماعة الرّسوليّة لا يجد معناه إلّا إذا شكّل مع الآخرين فريق الاثنيْ عشر.

٣٨– كان الرّسل ضامنين لرباط الوحدة بين الكنائس المحلِّيَّة المنتشرة في مختلف المدن والمناطق. وقد ظهر ذلك بوضوح في مَجمع أورشليم (راجِعْ: أع ١٥). لذلك، إنّ الجزء الأساسيّ في ممارسة سُلطة الأساقفة الجماعيّة هي المحافظة على الوحدة في الكنيسة والسّعي إليها.

ثالثًا: السّينودسيّة والمَجمعيّة والأوّليّة

٣. ١ الكنائس المحلِّيَّة/الأبرشيّة وأساقفتها

٣٩– الكنيسة، كشعب الله وجسد المسيح وهيكل الرّوح القدس، مدعوّة إلى أن تعيش اللّيترجيّا (leitugia) والشّهادة (martyria) والخدمة (diakonia). وتلتمس الكنيسة من الثّالوث الأقدس وتتلقّى منه جميع وسائل النّعمة الضّروريّة من خلال قراءة الكتُب المقدّسة، والاحتفال بالأسرار والثّبات في التّقليد الحيّ للكنيسة. هذه المواهب والواجبات كلّها تتحقّق في الكنيسة المحلِّيَّة/الأبرشيّة. وبالمعموديّة في الكنيسة المحلِّيَّة أو الأبرشيّة، يتدرّج كلّ مؤمن في الكنيسة الواحدة، المقدّسة، الجامعة والرّسوليّة. وبصورة خاصّة، تكون كلّ كنيسة محلِّيَّة أو أبرشيّة كنيسةً حقيقيّة وكاملة عندما تجتمع من أجل الاحتفال بالإفخارستيّا، برئاسة أسقفها.

٤٠– كلّ كنيسة محلِّيَّة أو أبرشيّة تكون في شركة مع أسقفها هي تحقيقٌ ملموس لسرّ الكنيسة، ومزوَّدة بالصّفات الّتي يمنحها المسيح لكنيسته من خلال الرّوح

القدس. تبقى كلّ كنيسة محلِّيَّة/أبرشيّة أيضًا في شركة مع الأساقفة ومؤمني الكنائس المحلِّيَّة الأخرى، سواء بشكل متزامن مع جميع كنائس اليوم أو بشكل غير متزامن مع الكنائس على مدى العصور. لا توجد كنيسة محلِّيَّة/أبرشيّة، في الواقع، من ذاتها وبذاتها. إنّها تشكّل كمال جسد المسيح الكنسيّ الواحد في الشّركة مع جميع الكنائس المحلِّيَّة/الأبرشيّة الأخرى.

٤١– وفي مسيرة التّاريخ، عُبِّر عن الشّركة بين الأساقفة بالأسرار من خلال الاحتفال المشترك بالإفخارستيّا وحضور الرّسامة الأسقفيّة بين بعضهم بعضًا، وكذلك من النّاحية الأخويّة، من خلال تبادل الرّسائل والزّيارات بين الكنيسة والأخرى، ومن خلال اجتماع السّينودسات والمجامع الأسقفيّة. ويتخلّل تاريخ الكنيسة مجامع وسينودسات مهرت بشكل ملموس الشّركة بين الأساقفة على المستوى المحلِّيّ والإقليميّ والعالميّ.

٤٢– إنّ شركة الإيمان وحياة الأسرار بين الكنائس المحلِّيَّة/الأبرشيّة تتطلّب الحفاظ على ثبات طابعها الخاصّ. فالوحدة الّتي نتصوّرها لا تعني أبدًا استيعاب كنيسة في كنيسة أخرى، ولا سيطرة واحدة على الأخرى. هذه الوحدة هي في خدمة كلّ كنيسة لمساعدتها على عيش المواهب الخاصّة، الّتي نالتها من الرّوح القدس، بشكل أفضل.

٣. ٢ العلاقات بين السّينودسيّة والمَجمعيّة والأوّليّة

٤٣– تتجلّى الشّركة بين الأساقفة وتتحقّق بفضل ممارسة السّينودسيّة والمَجمعيّة إلى جانب الأوليّة في الكنيسة. فمنذ القرون الأولى، ثُبِّتَ التّسلسل الهرميّ بين الكنائس

الّتي تأسّست قديمًا والكنائس الّتي تأسّست حديثًا، بين كنائس الأمّ وكنائس البنوّة، بين كنائس العواصم وكنائس المناطق الرّيفيّة. وفي بعض المناطق الجغرافيّة، وجد هذا التّمييز وهذه التّراتبيّة معناه في القوانين الّتي حدّدتها المجامع الأولى[١٤]. وتُسندُ التّنظيمات القانونيّة إلى الأساقفة الّذين يشغلون مناصب رئيسيّة أو متروبوليتيّة، إذ يحصلون على مركز وامتيازات مُعترَف بها في تنظيم الحياة الكنيسة السّينودسيّة. وهكذا ظهرت عبْر التّاريخ كراسيّ لرؤساء الأساقفة والمتروبوليتيّين ورؤساء الكنائس والكاثوليكوثيّين والبطاركة الّذين مُنحوا أولويّة خاصّة بين أساقفة منطقتهم[١٥].

٤٤- السّينودسيّة والمَجمعيّة والأولّيّة مترابطة بشكل أساسيّ بعضها ببعض. ويُعبّر عن هذا التّرابط بشكل جيّد في التّقليد المشترك للكنيسة، ولا سيّما، على سبيل المثال، في القانون ٣٤ عن الرّسل: «يجب أن يعرف أساقفة كلّ أمّة أيّ منهم هو الأوّل، وأن يعتبروه رئيسًا لهم وألّا يفعلوا أيّ شيء مهمّ من دون موافقته. لا يهتم كلّ واحد إلّا بما يتعلّق بمنطقته وبالأقاليم التّابعة له، كما ينبغي للرّئيس ألّا يفعل شيئًا من دون موافقة الجميع. على هذا النّحو، يسود الانسجام ويتمجّد الله بالمسيح

---

١٤ على سبيل المثال، أُنْظُرْ مَجمع نيقية الأوّل، قانون ٦: «لنُحافظ على العادات السّائدة في مصر وليبيا والمدن الخمس، بحيث يكون لأسقف الإسكندريّة السّلطة على هذه الأبرشيّات كلّها، ذلك أنّه توجد عادة من هذا القبيل لأسقف روما. وكذلك بالنّسبة إلى أنطاكية والأبرشيّات الأخرى، فليُحافظ على امتيازات الكنائس». أُنْظُرْ:

(English translation from *Decrees of the Ecumenical Councils*, Vol. 1, ed. by Norman P. Tanner, London/Washington 1990, pp. 8-9).

١٥ في القرون الأولى، تأسّست الأوّليّات الإقليميّة في الإمبراطوريّة الرّومانيّة (روما والإسكندرية وأنطاكية على سبيل المثال)، وكذلك خارج حدود الإمبراطوريّة الرّومانيّة (أرمينيا، جورجيا وألبانيا القوقازيّة على سبيل المثال)، وفي عهد قريب، تأسّست أوّليّات مناطقيّة في بلدان مختلفة (إثيوبيا والهند على سبيل المثال).

والرّوح القدس[١٦]. يشير هذا القانون إلى كلّ من العلاقة الجماعيّة والتّراتبيّة بين أساقفة المنطقة ومن هو الأوّل بينهم. يوضح القانون ٦ من مجمع نيقية هذا التّرابط»[١٧].

٤٥- يُمنح الأساقفة الّذين هم في المركز الأوّل في منطقتهم دورًا تنفيذيًّا ومُشرفًا وقضائيًّا بين زملائهم الأساقفة من أجل الوحدة. كما أنّ دورهم ضروريّ بشكل أساسيّ من أجل الحفاظ على الوحدة وتعزيزها بين الكنائس المحلّيّة/الأبرشيّة في المنطقة وبين أساقفتها. ومع ذلك، لا ينبغي لأيّ رئيس (متصدّر) أن يعمل كقائد منعزل ومستقلّ بطريقة ما عن الجسم الأكبر من الأساقفة والمؤمنين الّذي ينتمي إليه. إنّه جزء من شعب الله ومن السّينودس الّذي يترأّسه.

٤٦- إنّ السّينودسيّة والمَجمعيّة والأوّليّة يُعبَّر عنها بطُرُقٍ مختلفة وعلى مستويات مختلفة من حياة الكنيسة. ويتمّ التّعبير عن هذه الطّرُق وهذه المستويات بشكل مختلف في التّقاليد الكاثوليكيّة والأرثوذكسيّة، سواء أكان في الماضي أم في الحاضر.

---

[١٦] أُنْظُرْ:

Canones Apostolorum, VIII, 47, 34; ed. by F.X. Funk, I, pp. 572-574.

[١٧] مجمع نيقيا الأوّل، قانون ٦: إليكم، نقطة واضحة تمامًا: إذا أصبح شخصٌ ما أسقفًا من دون موافقة المتروبوليت، يُقرّر المَجمع الأعلى أنّه ليس أسقفًا. ولكن في حال إجراء الانتخاب بالتّصويت المشترك للجميع، بطريقة حكيمة ووفقًا للقاعدة الكنسيّة، وإذا عارض اثنان أو ثلاثة بدافع الضّغينة، لِيكُن تصويت الأغلبيّة هو الغالب. أُنْظُرْ:

(English translation from *Decrees of the Ecumenical Councils*, Vol. 1, ed. by Norman P. Tanner, London/Washington 1990, p. 9).

٣. ٣ المعنى الكنسيّ للسّينودسات والمجامع

٤٧– للسّينودسات والمجامع جذور عميقة في العهد الجديد (راجِعْ: أع ١٥) وفي حياة الجماعات المسيحيّة الأولى؛ فهي تنبع من جوهر الكنيسة كشركة. والسّينودسيّة/المَجمعيّة هي بُعْدٌ دائم في حياة الكنيسة، حتّى في الأوقات الّتي لا يُعقد فيها سينودس. ينبغي للكنيسة أن تتواجد دومًا وفي كلّ مكان كشركة حيّة للكنائس المحلِّيَّة مع رؤسائها الّذين يتعانقون بعضهم مع بعض في الإيمان والمحبّة.

٤٨– السّينودسات والمجامع هي علامات حضور ديناميكيّ للرّوح القدس في الكنيسة. ففي نهاية مَجمع أورشليم، كتب الرّسل في رسالتهم إلى مسيحيّي أنطاكيا: «لقد حَسُنَ لدى الرّوح القدس ولدَينا ألّا يُلقى عليكُم من الأعباء سِوى ما لا بُدَّ منه» (أع ١٥، ٢٨). كلّ مرّة يجتمع الأساقفة في السّينودسات والمجامع للتّداول والتّشريع كرعاة مسؤولين، فإنّهم يُظهرون طبيعة الكنيسة الّتي بناها الرّوح القدس كشركة. وبما أنّ للسّينودسات/المجامع أيضًا بُعْدًا إنسانيًّا، فهي تتطلّب قواعد عمليّة لعقدها وتنظيمها ورئاستها.

ومع ذلك، وبما أنّ للسّينودسات والمجامع أيضًا بُعدًا إنسانيًّا، فإنّها تقتضي قواعد عمليّة لعقدها وتنظيمها ورئاستها.

٤٩– لقد تجلّى البعد السّينودسيّ والمَجمعيّ للنّشاط الأسقفي بشكلٍ خاصّ في مسائل تتعلّق ببضع كنائس محلِّيَّة أو جميع الكنائس المحلِّيَّة. ومنذ الأزمنة القديمة، نُظِّمَت أنواع مختلفة من السّينودسات والمجامع المحلِّيَّة أو الإقليميّة في كلّ منطقة. وكانوا يُدعون إلى المجامع لأسباب وظروف مختلفة، يُمكن أن تتغيّر أشكالها استنادًا إلى الأمكنة والأزمنة. وفي الآونة الأخيرة، في الكنيسة الكاثوليكيّة، نُظّمت المجالس

الأسقفيّة على المستوى الوطنيّ والإقليميّ. بيد أنّ المبدأ السّائد كان دومًا هو نفسه، أي جَعْل سرّ الكنيسة فعّالًا كشركة من خلال العمل المشترك للأساقفة، برئاسة من يُقرّون به الأوّل بينهم.

٥٠– تهدف السّينودسات والمجامع (المحلِّيَّة والإقليميّة والعالميّة) إلى حماية إيمان الكنيسة وبناء الكنيسة كشركة على جميع المستويات وفي الميادين كلّها (إيمان، انضباط، أسرار، ليترجيّا، لاهوت، إعلان وخدمة). كما أنّها تضمن الإجماع في التّعليم والنّظام. يحتوي الإجماع على بُعدَين: بُعْدٍ غير متزامن مع التّقاليد المستمرّة للكنيسة وبُعْدٍ متزامن مع جماعة الكنائس كلّها في حقبة مُعيّنة.

٥١– السّينودسات والمجامع هي في الأساس اجتماعات الأساقفة. والأسقف الّذي يترأّس احتفال الإفخارستيّا يترأّس أيضًا حياة الجماعة المحلّيّة، كما يُمثّل كنيسته في اجتماع السّينودسات والمجامع. وبوسْعِ الكهنة والشّمامسة والعلمانيّين أن يؤدّوا أيضًا دورًا محدَّدًا في الحياة السّينودسيّة والمَجمعيّة للكنيسة وفي مسار اتّخاذ القرارات. ومع ذلك، تعود القرارات النّهائيّة إلى الأساقفة الّذين يوافقون على أعمال السّينودسات والمجامع.

٥٢– في المجالس المسكونيّة، الّتي تجتمع في الرّوح القدس في أوقات الأزمات، يُقرّر الأساقفة معًا مسائل الإيمان والنّظام، ويصدرون قوانين لتأكيد تقليد الرّسل في الظّروف الّتي تُهدّد الإيمان والوحدة والعمل الّذي يُقدّس الكنيسة كلّها ويُعرّض وجود الكنيسة للخطر وأمانتها ليسوع المسيح. تتّفق كنائسنا على السُّلطة العليا للمجالس المسكونيّة، فهم يُمثّلون هيئة نهائيّة في اتّخاذ القرار وفي التّعليم في مسائل الإيمان والنّظام.

٣. ٤ نقاط للبحث والمناقشة لاحقًا

٥٣– بينما تتّفق كنائسنا بشكل أساسيّ على كيفيّة عمل الأوّليّة والسّينودسيّة/المَجمعيّة، على المستويَيْن المحلّيّ والإقليميّ، فإنّها تختلف على كيفيّة تطبيق هذه المفاهيم على المستوى العالميّ. تُحافظ الكنيسة الكاثوليكيّة على الحاجة إلى الخدمة البطرسيّة في الكنيسة الّتي يُمارسها أسقف روما، لضمان شركة الكنائس الخاصّة في مختلف أنحاء العالم. أمّا الكنائس الأرثوذكسيّة الشّرقيّة، من جهتها، فلا تملك مركزًا واحدًا للشّركة العالميّة، بيد أنّها تعمل على أساس نموذج مستقلّ وعالميّ، مع عقيدة إيمانيّة مشتركة. تعتزم لجنتنا فحص هذَيْن النّموذجَيْن بشكل كامل، لتحديد ما هو مشترك بيننا وما هي الخلافات الّتي ينبغي حلّها.

٥٤– تقبل الكنيسة الكاثوليكيّة والكنائس الأرثوذكسيّة الشّرقيّة معًا بتعريفات المجالس المسكونيّة الثّلاثة الأولى (نيقية ٣٢٥، القسطنطينيّة ٣٨١، أفسُس ٣٣١). تنتمي بعض التّعريفات العقائديّة أو بعض المراسم التّنظيميّة للمجامع المنعقدة في كلا الجانبين إلى تعليم كنائسنا (كإدانة بدعة أوطيخا، على سبيل المثال)، وبعضها الآخر لا. وفيما يخصّ بعض التّعريفات المَجمعيّة الّتي قسّمت تقليديًّا الكنيسة، وُقِّعت اتّفاقيّات مشتركة مؤخّرًا بين الكنيسة الكاثوليكيّة وبعض الكنائس الأرثوذكسيّة بمفردها[١٨]. وبهدف توضيح المسائل المرتبطة بالمجامع المسكونيّة، تُخطّط لجنتنا لدراسات لاحقة في مسائل استنادًا إلى معايير تسمح بتحديد المجامع المسكونيّة، وعدد المجامع المسكونيّة، وسُلطة المجامع الّتي لم تُشارك فيها، والطّبيعة الملزِمة للقوانين

---

[١٨] كالاتفاقيّات المسيحانيّة الّتي وُقّعت على سبيل المثال بين الكنيسة الكاثوليكيّة والكنيسة القبطيّة الأرثوذكسيّة، والكنيسة السّريانيّة الأرثوذكسيّة، وكنيسة المالنكار السّريانيّة الأرثوذكسيّة، وكنيسة المالنكار الأرثوذكسيّة السّريانيّة.

والحُرمات النّاجمة عن المجامع القديمة (بما فيها المجامع المحلِّيَّة والإقليميّة)، وكيفيّة حلّ نقاط الخلاف حول التّعريفات المَجمعيّة الّتي قسّمتنا تقليديًّا.

٥٥– إنّ قبول القرارات المَجمعيّة هي جزء من المسار السّينودسيّ والمَجمعيّ الّذي يهدف إلى إشراك الجماعة المسيحيّة بأسرها في تحضير الإجماع. كما أنّ تقبُّل القرارات والتّعريفات يُكمّل هذا المسار، على الرّغم من أنّ الإقرار بأنّ الأساقفة المجتمِعين في السّينودسات والمجامع إنّما يُعلّمون بسُلطة، بحُكم رسالتهم وسلطتهم الرّسوليّة، حتّى قبل اكتمال مسار التّقبّل. في هذا السّياق، هل يُمكننا التّمييز في مسار التّقبُّل بين جوهر الإيمان وتعابيره من خلال التّقاليد الكنسيّة أو المدارس اللّاهوتيّة بين عقيدة أو لاهوت لا يستند إلى الوحي؟ كيف يُمكننا أن نُحدّد ونستقبل معًا إيماننا المشترك، الّذي يُفهم على أنّه تمَّ التّصديق عليه في كلّ مكان، دومًا ومن الجميع، وفقًا لصيغة فانسان دي ليرينس[١٩]؟ ما دور الرّوح القدس في مسار التّقبُّل؟

رابعًا: رسالة الكنيسة

٥٦– الكنيسة كنيسة رساليّة بطبيعتها. تنبع رسالتها من الوصيّة الّتي ينتهي بها إنجيل القدّيس متّى: «اِذهبوا وتلمِذوا جميع الأمم» (متّى ٢٨، ١٩). كما أُرسِل الرّب يسوع المسيح ليُعلن ملكوت الله ويفتتحه، أرسل الكنيسة لتُعلن بشارة ملكوت الله لجميع

[١٩] أُنْظُرْ:

(English translation from *The Commonitory,* Chapter II, n. 6, *Nicene and Post-Nicene Fathers of the Church,* Vol. 11, p. 132).

الشّعوب. فالرَّب نفسه، الّذي يسكُن مع تلاميذه، يعمل معهم ومن خلالهم (مر ١٦، ٢٠) لإنجاز رسالته بين الشّعوب حتّى نهاية العالم.

٥٧– في صميم وصيّة الرَّب هناك تكليف بالمعموديّة: «باسم الآب والابن والرّوح القدس» (متّى ٢٨، ١٩). بالإيمان والمعموديّة يتدرّج المسيحيّ في سرّ موت المسيح وقيامته: «إنّما دُفِنّا معه في موته بالمعموديّة لنحيا نحن أيضًا حياةً جديدة» (رو ٦، ٤). ما بدأ في المعموديّة ينمو تدريجيًّا في ومن خلال الاحتفال بالأسرار الأخرى للكنيسة. تمنحُ هذه فيما بعد نعمة الرّوح القدس لكلّ فردٍ مؤمن ولمجتمع المؤمنين في مُجْمَله.

٥٨– يُدعى جميع أعضاء الكنيسة إلى المشاركة في الرّسالة الّتي أوكلها إليهم الله، بحسب الوضع الخاصّ لكلّ فرد. ومع أنّ التّبشير الرّسميّ بالإنجيل قد أُوكِل إلى الأساقفة والكهنة والشّمامسة، فإنّ جميع المسيحيّين مدعوّون إلى التّعاون معهم في هذه الرّسالة. تقع على عاتق المسيحيّين العلمانيّين مسؤوليّة خاصّة للشّهادة بالمسيح في حياتهم العائليّة، في التزامهم الاجتماعيّ أو المهنيّ، في مبادراتهم الثّقافيّة أو السّياسيّة.

٥٩– حياة الكنيسة اللّيترجيّة موجَّهة أيضًا إلى إعلان ملكوت الله ونشره. ذلك أنّ الكنيسة ليست أقلّ من ذلك في خدمة الملكوت بشفاعتها، لأنّ ملكوت الله بطبيعته هو هِبَة من الله، كما تُذكّرنا الأمثال والصّلاة الّتي علّمنا إيّاها المسيح (راجِعْ: متّى ٦، ١٠).

٦٠– كما غَسَلَ الرَّبّ يسوع المسيح أرجل تلاميذه في العشاء الأخير، هكذا تسير اللّيترجيّا والخدمة جنبًا إلى جنب. يُطلَب من جميع تلاميذه أن يحذوا حذوه: «فقد

جعلْتُ لكم من نفسي قُدوةً لتصنعوا أنتُم أيضًا ما صنعْتُ إليكم» (يو ١٣، ١٥). أدخل الرّب عددًا من الأنشطة في الخدمة: تقديم الطّعام والشّراب وتوفير المأوى، وتوفير اللّباس وزيارة المرضى والسّجناء، إلخ. يُغطّي مفهوم الخدمة المعنى العميق للحبّ المسيحيّ الفعّال للآخرين: «الحقّ الحقّ أقول لكم: كلّما صنعتُم شيئًا من ذلك لِواحدٍ من إخوتي هؤلاء الصّغار، فلي قد صنعتُموه» (متّى ٢٥، ٤٠). فمن دون أعمال الخدمة والمحبّة هذه لا يُمكن أن يكون إعلانٌ لإنجيل يسوع المسيح.

٦١– على الرّغم من الفرح المرتبط بإعلان الإنجيل، فإنّ الشّهادة غالبًا ما تنطوي على الألم والمعاناة، كما تدلّ على ذلك كلمة «شهادة» (*martyria*). لم يُخْفِ الرّب يسوع المسيح الثّمن الّذي يجب دفعُه ليكون الفردُ تلميذَه، عندما كَلّف تلاميذه بأن يشهدوا له (راجِعْ: متّى ١٠: ١٦–٤٢). عاش المسيحيّون مواقف مأساويّة قاسية، ليس في الأزمنة البعيدة وحسب، ولكن في الآونة الأخيرة أيضًا، في جميع أنحاء العالم، وضحّوا بحياتهم من أجل المسيح، إلى حدّ سَفْكِ دمائهم. كُتِبَ تاريخ العديد من الكنائس بلون الاستشهاد الأحمر. ليس إشعاع الاستشهاد دليلًا على انتصار الله على قوى الكراهية والشّرّ فحسب، بل يحمل فيه أيضًا الوعد بحياة جديدة وخُصْب الكنيسة جمعاء. تَستَمِدُّ الشّهادة قوّتَها من صليب المسيح، لأنّ «حبّة الحنطة الّتي تقع في الأرض، إنْ لم تَمُتْ تَبْقَ وحدها، وإن ماتت أخرجت ثمرًا كثيرًا» (يو ١٢، ٢٤). إنّ شُهداء كلّ الأزمنة والأماكن، الواقفين أمام عَرْشِ الحمل، سيظلّون مجد الكنيسة في ملكوت الله الأبديّ (راجِعْ: رؤ ٧: ١٣–١٧).

٦٢– الالتزام المسكونيّ جزء لا يتجزّأ من رسالة الكنيسة جمعاء ومن جميع أعضائها. في الواقع، إنّ المسيحيّين الّذين ما برحوا منقسمين فيما بينهم ويبشّرون ببشارة المصالحة، تضعف شهادتهم. فمن المُلِحّ أن نعمل من أجل الوحدة المسيحيّة، حتّى

تكون شهادتنا المسيحيّة ونشاطنا الرّسوليّ أكثر فعاليّة. وعلاوةً على ذلك، إنّ الجهود المبذولة من أجل الوحدة، هي في حدّ ذاتها علامة على عَمَل المصالحة الّذي يقوم به الله بيننا. لذا، يجب على المسيحيّين أن يثابروا على إيجاد طُرُقٍ جديدة ووسائل جديدة للتّعاون بشكل أوثق في إنجاز رسالتهم المشتركة في التّبشير بالإنجيل، وفقًا لِما تسمح به ظروف الزّمان والمكان والثّقافة.

٦٣– من المؤسف أنّ اقتناص المسيحيّين (*proselytism*) قد أضرّ بالرّسالة المسيحيّة. فبدلًا من الشّهادة لمحبّة الله لجميع النّاس وفقًا للوصيّة الإرساليّة، كانت هناك محاولات لتطويع مسيحيّين آخرين بطُرُقٍ تتعارض مع المحبّة. وبدلًا من تعزيز التّضامن المسيحيّ، فقد قَوّضَ الاقتناصُ من خلال استخدام طُرُقٍ غير شريفة من أجل حَمْلِ أعضاء الكنائس الأخرى على تغيير انتمائهم. وبدلًا من أن تُصبح الشّهادة المشتركة واقعًا ويتمّ تعزيزها باستمرار، فقد تعرّضت للخطر والتّشويه: «نحن نرفض جميع أشكال الاقتناص، بمعنى الأفعال الّتي يُحاول أشخاص بواسطتها إرباك جماعة الآخرين، من خلال تطويع أعضاء جُدُد، بطُرُق ملتوية أو بسبب المواقف العقليّة الّتي تتعارض مع الحبّ المسيحيّ أو مع ما يجب أن يُميّز العلاقات بين الكنائس. ينبغي لهذا السّلوك أن يتوقّف أينما وُجِد. كما ينبغي للكاثوليك والأرثوذكس أن يسعوا إلى تعميق المحبّة وتعزيز التّشاور والتّأمُّل والتّعاون المتبادل في المحاولات الاجتماعيّة والفكريّة»[٢٠].

٦٤– يفترض النّشاط الرّساليّ للكنيسة حقّ كلّ شخص في أن يتّبع ضميره وأن يتمتّع بالحرّيّة الدّينيّة على أنّها «حقّ جميع الأشخاص في البحث عن الحقيقة،

[٢٠] راجِعْ: الإعلان المشترك الّذي وقّعه البابا بولس السّادس والبابا شنودة الثّالث، في ١٠ أيّار ١٩٧٣.

والشّهادة لهذه الحقيقة وفقًا لضميرهم. وهذا يشمل حرِّيَّة الاعتراف بيسوع المسيح ربًّا ومخلّصًا وحرّيَّة المسيحيّين في الشّهادة لإيمانهم به قولًا وفعلًا. وتشمل الحرّيَّة الدّينيّة الحقّ في حرّيَّة تبنّي دينٍ ما أو تغييره والتّعبير عنه بالتّعليم والممارسة والعبادة وإقامة الشّعائر من دون إكراهٍ من شأنه أن يُضعِف هذه الحرّيَّة»[٢١].

٦٥– إذا طلب مسيحيّ، لأسباب تتعلّق بالضّمير، ولاقتناعه بالحقيقة، بعيدًا من كلّ ضغطٍ، الدّخول في شركة كاملة مع كنيسة أخرى، يجب احترام ذلك كتعبير عن الحرِّيَّة الدّينيّة. في مثل هذه الحالة، لن تكون بالضّرورة مسألة التّبشير بالمعنى السّلبيّ للكلمة، إذ يجب دومًا رفضها. ومع ذلك، لا ينبغي لنا إساءة استخدام فكرة الحرِّيَّة الدّينيّة لتبرير أنشطة التّبشير.

٦٦– لا يكفي التّنديد باقتناص المسيحيّين. يجب على الرّعاة وأعضاء كنائسنا أن يواصلوا التّحضير للشّهادة المسيحيّة المشتركة الأصيلة من خلال الصّلاة المشتركة والتّربية الدّينيّة المشتركة واحترام بعضنا بعضًا في الخطاب الدّينيّ والأنشطة الرّاعويّة المنسّقة والخدمة (*diakonia*) المشتركة في المجالَين الإنسانيّ والاجتماعي. لذلك، من المهمّ، بشكل خاصّ، أن يكون هناك اتّصال مُتكرّر ومُنتظم بين الأساقفة ورؤساء الدّيانات الكاثوليكيّة الآخرين مع الكنائس الأرثوذكسيّة الشّرقيّة.

---

[٢١] أُنْظُرْ: فريق العمل المشترك بين الكنيسة الكاثوليكيّة والمجلس المسكونيّ للكنائس، تحدّ اقتناص المسيحيّين والدّعوة إلى الشّهادة المشتركة، ١٩٩٥، رقم ١٥.

خاتمة

٦٧– يشكر أعضاء اللّجنة المشتركة الله على تمكُّنهم من إعداد هذه الوثيقة، الّتي تُقدّم قاعدةً واسعةً للاتّفاق على المسائل الأساسيّة للكنيسة بين الكنيسة الكاثوليكيّة والكنائس الأرثوذكسيّة الشّرقيّة. فَهُمْ يأملون ويثقون في أنّه، على الأساس المتين لهذه الوثيقة، سيكون من الممكن إجراء مزيد من الدّراسات والمناقشات حول قضايا أخرى مُدرَجة في جدول أعمال اللّجنة. تضمّنت بعضُ هذه القضايا خطّةَ العمل الأصليّة للّجنة المشتركة، وحُدِّدت القضايا الأخرى في هذه الوثيقة. تنوي اللّجنة مواصلة عملها في هذه القضايا كلّها بترتيب يُسهّل على أفضل وجه تعميق التّفاهم المتبادل والشّهادة المشتركة في مسيرتنا نحو الشّركة الكاملة من خلال تحقيق الوحدة الكاملة في الإيمان. في هذا الجهد، نعتمد على نعمة الله، ونعرِض هذه الوثيقة على سلطات كنائسنا من أجل التّفكير فيها والعمل بها.